203

علم الدلالة المعجمي

جيرارتس

D. Geeraerts

ترجمة فتحي الجميل

رغم أن «علم الدلالة المعجمي» يعرّف بطريقة سهلة وشائعة بأنه الدراسة اللسانية لمعنى الكلمة، فإن هذا التعريف لا يخلو من مشاكل. لكنْ بما أن مشاكل التعريف المختص التي تظهر بسبب مفهوم «الكلمة» قد درست في فصل مستقل (انظر: «المعجمية النظرية

= lexicology »)، فإن هذه المشاكل لن تدرس هاهنا أيضاً. ونهتم في هذا الفصل بالتطور التاريخي لعلم الدلالة المعجمي (الذي عرّف تعريفاً غير محكم أعلاه). ونقدم فيه التيارات الكبرى في تاريخ علم الدلالة المعجمي تقديماً زمنياً موجزاً، وستخصص فصول مستقلة للتفاصيل المتصلة بالمفاهيم النظرية والجهود الوصفية لأهم التقاليد الكبرى. أما هذا الفصل فنركز فيه على خطوط التطور التي تصل بين هذه المقاربات المختلفة أو تفصل بينها.

1. علم الدلالة التاريخي ما قبل البنيوي:

لقد أصبح علم الدلالة المعجمي اختصاصاً لسانياً خلال القرن التاسع عشر. لكن ذلك لا يعني عدم وجود بحث دلالي معجمي قبل هذه الفترة. فقد كانت هناك أربعة أنواع من البحوث يمكن اعتبارها إرهاصات لعلم الدلالة المعجمي اللساني هي: المعجمية التطبيقية، والتفكير الفلسفي حول طبيعة المعنى، والتأملات التأثيلية، والتقاليد البلاغية (التي

اعتبرت فيها آليات التغيير الدلالي كالاستعارة والكناية أقساماً أسلوبية).

وقد فرض اختلاف ملحوظ في النظر إلى كل تقليد من التقاليد السابقة بظهور علم الدلالة المعجمي اختصاصاً لسانياً.

1 - في تمييز علم الدلالة المعجمي اللساني عن تقليد صناعة المعجم تمييزاً بالخلاف، لم يحدد علم الدلالة المعجمي اللساني نفسه في مجال تدوين معاني الكلمة تدويناً جزئياً، لكنه حاول أن يعرّف الظاهرة الدلالية التي يدرسها، وأن يصنّفها ويفسّرها.

2 - في تمييزه عن التقليد الفلسلفي تمييزاً خلافياً، لم يخص [علم الدلالة المعجمي اللساني] - في مقام أول - في المسائل العامة لطبيعة المعنى والعلامات اللسانية. بل ركز على الظاهرة الدلالية الخاصة (وعلى اللغة الخاصة غالباً). وأصبح علم الدلالة اللساني بهذا المعنى اختصاصاً اختبارياً حقيقياً، بتأليفه بين المقاربة

القائمة على الملاحظة في المعجمية التطبيقية التقليدية والمنظور التنظيري في التقليد الفلسفي. والحقيقة أن تكوين النظرية في علم الدلالة المعجمي أصبح للوهلة الأولى قائماً على أساس ظواهري صحيح للحقائق الملاحظة.

3 - تظل نقطة تشابه صحيحة قائمة في علاقة علم الدلالة المعجمي بالتقليد التأثيلي القديم. ففي حين يقوم هذا التقليد التأثيلي على عجائبية علم الدلالة التأملي (spéculative) وعلى الترسيس الشكلي غير المقيد في أكثر الأحيان. أُسِّسَ علم الدلالة المعجمي على الدراسة العلمية لتاريخ اللغة، التي يعد تطورها أكبر إنجازات لسانيات القرن التاسع عشر، ودُمِجَ فيها. والحقيقة أن علم الدلالة المعجمي كان قبل كل شيء علم دلالة تاريخياً منذ ظهوره في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى ظهور علم الدلالة البنيوي سنة 1930 تقريباً (انظر: «علم الدلالة البنيوي»: (structural semantics). وفي حين يفرض منهج اللسانيات التاريخية المقارني قيوداً ذات مبادئ

لكل محاولة ترسيس شكلي (formal reconstruction)، فإنه يمكن - بصفة أخص - اعتبار الدراسة الدلالية المعجمية لآليات التغير الدلالي محاولة لفرض قيود للجانب الدلالي من الترسيسات التأثيلية. إذ ينبغي اكتساب معرفة أدق بالأنماط القياسية لتغيير المعنى الذي يمكن أن تسلكه الكلمات حتى نميّز بين الترسيسات الدلالية المقبولة والترسيسات الدلالية غير المقبولة.

4 - إن تركيز علم الدلالة المعجمي المنشأ حديثاً على وصف أنماط تغير المعنى وتصنيفها هو سبب ربطه بالدراسة البلاغية للمجازات الأسلوبية. فقد وفّر التصنيف البلاغي للظاهرة الدلالية الأسلوبية نقطة بدء لتصنيف جديد لآليات تغيير المعنى. لكن الاختلاف [بينهما] كان يكمن في أن تلك الظواهر - كالاستعارة والكناية - لم يُعَدْ يُنْظَرُ إليها على أنها ظواهر آنية تُسْتَدعَى في النصوص الأدبية بصفة واعية استدعاء كثيراً

أو قليلاً، بل على أنها ظواهر زمانية ظهرت في نطاق واسع غير واع من اللغة كلها.

وينبغي أن نذكر التوجه النفسي في علم الدلالة ما قبل البنيوي باعتباره خصيصة كبرى ثانية، بغض النظر عن التوجه التاريخي الأساسي في المرحلة الأولى من مراحل تطور علم الدلالة المعجمي اللساني. ويتجلى [التوجه النفسي] في ثلاثة مظاهر أخص:

أ - يتجلّى في كون معظم المعاني المعجمية قد اعتبرت كيانات نفسية أي (نوع من التخمينات) (Thoughts) أو الأفكار (ideas). وترتبط هذه المنزلة (Status) النفسية بمنظور عرفاني للغة باعتبارها تفكيراً وإعادة بناء للتجربة، فاللغة تعبير عن الفكر.

ب - إن علم الدلالة المعجمي ما قبل البنيوي قد وجّه وجهة نفسية إلى توسيع يحاول أن يفسّر تغيير المعنى باعتباره نتيجة للمسارات النفسية، وتمثل آليات التغير الدلالي العامة التي يمكن استخراجها من الدراسة التصنيفية لتاريخ

الكلمات نماذج ترابطية (associative patterns) لتفكير العقل البشري.

ج - إذا كانت اللغة تعبيراً عن التفكير والتجربة، فإن المرحلة المنهجية الأساسية في علم الدلالة المعجمي كانت تأويلاً لمادة اللسانية لتبين قصد المؤلف التعبيري الأصلي، لأن مادته الأولية تتكون من نصوص لغات ميتة أو من مراحل سابقة في اللغة الحية. وقد كان منهج علم الدلالة التاريخية الأساسي هو منهج واضع المعجم التاريخي أو العالم الفيولولوجي (فقيه اللغة): أي تأويل النصوص التاريخية في مواجهة خلفية سياقها الأصلي. فمن الواضح إذن أن منهج علم الدلالة التاريخي لم يكن أكثر استقلالية من موضوعه. فقد تضمّن معرفة ثقافية وتاريخية بل معرفة موسوعية بصفة أعم (يمكن أن تجد في فصل «علم الدلالة التاريخي» « Historical semantics » تفاصيل أكثر من علم الدلالة التاريخي ما قبل البنيوي وعن أسماء أهم أعلامه).

2. علم الدلالة البنيوي:

نشأ علم الدلالة البنيوي المستلهم من المفهوم السوسيري للغة كردَّة فعل لعلم الدلالة التاريخي ما قبل البنيوي، وتُنسَب أصول علم الدلالة البنيوي عادة إلى تريير Trier (1931). لكن مع أن مقالة تريير قد تعد في الواقع أول عمل وصفي مهم في علم الدلالة البنيوي، فإن أوّل تعريف نظري منهجي للمقاربة الجديدة قد أسسه وايسغربر Weisgreber (1927) بمقال جدالي نقد فيه اللسانيات التاريخية في ثلاث مسائل:

1 - نقدها في المقام الأول لأن رصيد لُغة ما ليس مجرد مجموعة غير مُبَنْيَنَة من المفردات المشتتة، ولأن معنى العلامة اللسانية يحدد من خلال موقعها في البنية اللسانية التي تنتمي إليها. فليست مادة موضوع علم الدلالة هي التغيرات الذرية في معاني الكلمة - وهي التغيرات التي ركز عليها علم الدلالة التاريخي - بل هي بنية اللغة الدلالية التي تحدد معاني الكلمات المفردة انطلاقاً من علاقات بعضها ببعض.

2 - وجب ألاّ تدرس المعاني اللسانية من منظور نفسي لأن هذه البنية [الدلالية] هي ظاهرة لسانية أكثر من كونها ظاهرة نفسية. كما أن منهجية علم الدلالة اللساني هي أيضاً منهجية مستقلة، لأن مادة موضوع علم الدلالة هي البنية اللسانية المستقلة للعلاقات الدلالية بين الكلمات.

3 - سبق علم الدلالة الآني منهجياً علم الدلالة الزماني لأنه وجب إعادة تعريف التغير الدلالي بأنه تغير في البنى الدلالية: لذا لابد أن تكون البنى الآنية قد درست قبل أن يكون من الممكن النظر فيما طرأ عليها من تغيرات.

لقد ارتبط فهم هذه المحاولة لتطوير نظرية بنيوية في علم الدلالة آنية لا-نفسية بكيفية تصور مفهوم البنية الدلالية. وتوجد، عملياً، ثلاثة تعريفات مختلفة أساسية للبنية الدلالية استعملها علماء الدلالة البنيويون. وقد أُفردَت، بصفة أخص، ثلاثة أنواع مختلفة من العلاقاتَ البنيوية بين المفردات المعجمية أُسُساً منهجية خاصة بعلم الدلالة المعجمي

(انظر أيضاً فصل: «علم الدلالة البنيوي»: structural semantics):

أ - هناك علاقة التشابه الدلالي التي تكمن في أساس تحليل الحقل الدلالي الذي افتتحه تريير، وأدّى أخيراً إلى تحليل المكوّنات (Componential analysis) في أعمال علماء لسانيين إناسيّين كفود إينف Goodenough (1956) ولاونسبوري Lounsbury (1956) وبطريقة مستقلة كما يظهر في أعمال البنيويين الأوروبيين كبوتييه Pottier (1964) (انظر الفصل: «الحقل المعجمي: تحليل المكونات» Lexical Field: Componential Analysis).

ب - هناك علاقات معجمية غير محللة كالترادف والتضاد (Antonyny) والانضواء (Hyponymy) والاحتواء (Hyperonymy).

وقد اختيرت هذه العلاقات لأول مرة بطريقة نظامية أسساً منهجية لعلم الدلالة البنيوية من قبل لاينز Lyons (1963).

ج - ميّز بورزيغ Porzig (1934) العلاقات المعجمية السياقية (syntagmatic) وسمّاها «علاقات معنوية جوهرية» (Wesenhafte Bedeutungsbezie- hungen). وظهرت مرة أخرى بعد ذلك قيوداً انتقائية في علم الدلالة البنيوي المحدث الذي دمجه كنز Kanz وفودور Fodore (1963) في النحو التوليدي (انظر الفصل: «العلاقات المعجمية السياقية» - Syntagmatic lexical relations).

3 - علم الدلالة التحويلي البنيوي المحدث:

عُدَّ منوال الوصف الدلالي المعجمي الذي أدخله كاتز وفودور (1963) (وطوّره كاتز بعد ذلك، وخصوصاً في كاتز 1973) مرجعاً بالنسبة إلى الدراسات في علم الدلالة المعجمي، خلال كامل النصف الثاني من الستينات ومعظم سنوات السبعينات [من القرن العشرين].

وتعود أهمية علم الدلالة الكاتزي بالأساس إلى

اندماجه في النحو التوليدي. فقد استفاد من المكانة العالية التي يحظى بها النموذج التوليدي في التنظير اللساني في تلك الحقبة، وساهم كاتز وفودور في الوقت نفسه بعض المساهمة في الحماسة التي كانت المقاربة التوليدية قادرة على بلوغها. فإن كانت جاذبية النحو التوليدي قد قامت في جانب واسع منها على أناقة منوال النظرية النموذجية التي دشّنها تشومسكي Chomsky في كتابه «مظاهر من النظرية التركيبية» (1965)، فإنه من الأفضل ألا ننسى أن المكوّن الدلالي الذي أضافه كاتز وفودور إلى منوال تشومسكي النحوي المتأخر [الثاني] يمثّل مرحلة حاسمة لتشكيل منوال نظريته النموذجية.

لقد ألّف علم الدلالة الكاتزي في جوهره (أي باعتباره نظرية من نظريات علم الدلالة المعجمي) بين ذروة المقاربة البنيوية وخصيصتين كانتا مرتبطتين ارتباطاً حميماً باندماجه في النحو التوليدي:

1 - تبني [كاتز] المكتسبات التشومسكية التي شكّلها التحليل اللساني بطريقة صارمة جامدة، وكان تحليل المكونات في المنوال الكاتزي -

بصفة خاصة - منهجاً في التحليل الوصفي، وفي الآن نفسه جهازاً شكلياً بدا خاضعاً بالضرورة لمتطلبات الشكلنة الخوارزمية التي فرضها التيار التشومسكي.

2 - تبنّى [كاتز] التصور العقلي الذاتي في التيار التشومسكي. وبتعريف مادة موضوع علم الدلالة، باعتبارها اقتدار «مهارة تأويل الجمل» لدى مستعمل اللغة، أصبح علم الدلالة يسهم فيما تَعِدُ بتحقيقه الكفاية التفسيرية (explanatory adequacy) التي لطالما مثّلت أكثر ما يروق [الدارسين] في النحو التوليدي.

3 - وصل علم الدلالة الكاتزي بين الأنواع الثلاثة من العلاقات الدلالية التي يمكن أن تكمن في أساس النظريات البنيوية الدلالية (كما بُيِّنَ في نهاية الفقرة 2). وقد شُرحت علاقات التشابه السياقية خلال مراحل نظرية الحقل المعجمي في تبنّي كاتز وفودور لتحليل المكونات في المقام الأول. ورُصِدَتْ - في المقام الثاني - القيود السياقية في تَوليف الكلمات، في قيود انتقائية (ومثال

ذلك أن المفعول المباشر لـ «eat» (أكل) يجب أن يُرْجَعَ إلى شيء يمكن أكله). أما في المقام الثالث. فلم تناقش العلاقات المعجمية الجدولية التي كشف عنها لاينز (1963) في مقال سنة 1963، بل نوقشت سنة 1972 (والظاهر أن النقاش نتج عن صدور كتاب لاينز). وقد بيّن كاتز بطريقة جلية أن النظرية الدلالية ينبغي أن تهتم بالعلاقات المعجمية كالترادف والتضاد والانضواء. وعلينا أن نشير إلى أن كاتز يختزل الأنواع الثلاثة من العلاقات المعجمية في وجهتين مختلفتين. فهي - من جهة أولى - مترابطة في أساس الملاحظة في علم الدلالة المعجمي: ويلح كاتز على أن ما يجب على علم الدلالة المعجمي أن يحاول وصفه هو - بدقة - مجمل مجموع هذه الأنماط المختلفة من العلاقات البنيوية. وقصد - من جهة ثانية - أن يكون استعماله لتحليل المكونات منهجاً موحّداً لوصف هذه الأنماط العلائقية المختلفة. وقد استعمل كاتز

تحليل المكونات لوصف العلاقات الأخرى أيضاً، رغم أن هذا التحليل قد ترعرع خارج تحليل علاقات الحقل الدلالي، وهكذا، إذا كانت المفردة المعجمية (أ) عنصراً منضوياً في المفردة (ب) مثلاً، فإن التعريف المكوني لـ (أ) ينبغي أن يتضمن التعريف المكوني لـ (ب).

باختصار، كان علم الدلالة الكاتزي توليفاً متفرداً وعملاً مندرجاً ضمن عمل النحو التوليدي، ذا منهجية دلالية بنيوية أساسية، وفلسفة عقلية للغة، وجهازاً وصفياً مشكلنا. وقد تميز التطور الآخر لعلم الدلالة المعجمي بتوجهين. وكان علم الدلالة في كلتا الحالتين يتحول من القطب البنيوي للتأليف الكاتزي إلى أحد القطبين الآخرين. فمن جهة أولى قلّصت مطالب الشكلنة من التأثير البنيوي في علم الدلالة لفائدة المقاربة المنطقية في تحليل المعنى. ومن جهة ثانية أدت محاولات تبنّي الموقف العقلي لعلم الدلالة الكاتزي بصفة جدية إلى توجه نفسي وعرفاني (cognitive) في الدراسات الدلالية.

4. علم الدلالة المنطقي:

إن التطور في اتجاه قيام علم الدلالة المنطقي قد تحقق في مرحلتين: قبل تحول أولي من الشكلنة التي استعملها كاتز إلى نظام مفهومي كامن في تقاليد منطق المسند [المحمول] predicate logic، أُدخِلَتْ مجموعة من الإثراءات والتدقيقات النظرية الراجعة إلى المنطق الكلاسيكي إلى علم الدلالة اللساني، وخصوصاً في إطار نحو مونتاغ Montague (انظر فصل: «نحو مونتاغ» Montague Grammar). وفي كلتا الحالتين كان التطور تطوراً منطقياً نابعاً - كما تبيّن - من بعض مظاهر عدم الكفاية في شكلنات كاتز. وهكذا - وفي مرحلة أولى - بيّن واينريتش Weinreich (1966) - من ضمن آخرين - أن القراءات المشكلنة التي أسندها كاتز إلى الجمل لم تكن لها بنية داخلية، لأن معنى جملة من الجمل قد اشتق بمجرد إضافة بعض التعريفات المكونية للكلمات في الجمل إلى بعض، ولم تكن القراءات الشكلية قادرة على التمييز بين «cats chase mice» [القطط

تصطاد الفئران] و« mice chase cats » [الفئران تصطاد القطط]. ولأن منطق المحمول وفّر نزعة شكلية في التعامل مع البنية الدلالية للجملة، فإن تبنيه كانت مرحلة طبيعية قامت بها - بصفة كلية - حركة علم الدلالة التوليدي (ولأن المكممات quantifiers أيضاً - وهي ضرب آخر رئيس من المنطق الصوري - اضطلعت بدور مهم في مناقشة علم الدلالة التوليدي). وهناك سبب آخر للتحول إلى منطق المحمول. هو الصراع بين مقاربة لامكونية ومقاربة أكسيومية في شكلنة المعنى المعجمي، أي بين استعمال تحليل المكونات ومسلمات المعنى (انظر الفقرة 5 لاحقاً). وقد تم بلوغ المرحلة الموالية من التطور حين لاحظ المناطقة أن التمثيلات الرمزية للمعنى (تلك التي تضم التمثيلات الكامنة في النزعة الشكلية في منطق المسند) ينبغي أن تكون مؤولة تأويلاً صورياً formally، بمعنى المنوال النظري، إذا كان علم الدلالة يرغب في أن يصبح صورياً حقاً (انظر لويس Lewis 1972): فقد احتاجت مقدمة

مجموعة الجهاز النظري اللاحقة إلى تأكيد تأويل صوري [شكلي] لغة التمثيلية التي أنجزها التطور في اتجاه علم الدلالة المنطقي.

وفي سياق نظرة إجمالية للتاريخ المنهجي لعلم الدلالة المعجمي، فإن التطور في اتجاه قيام علم الدلالة المنطقي يعني بالأساس تحولاً من التركيز على علم الدلالة المعجمي إلى «علم الدلالة الجملي» (sentencial). وتعد شروطه الحقيقية الاهتمام – في مقام أول – بعلم الدلالة المنطقي. وهذه الشروط الحقيقية هي خصائص القضايا (propositions) لا خصائص الكلمات المفردة. وهكذا فإن الوضعية التي اقترحها توماسون Thomason – التي لا تحتاج فيها النظرية الدلالية إلي طريقة تحدد بها كيف يختلف معنى مفردة مثل «walk» [مشى] عن معنى «run» [جَرَى] 1974 :48 – هي وضعية نموذجية صالحة لتحول الاهتمام من البنى العلائقية المعجمية إلى البنى الجملية. (إن مجمل التغير تعكسه بطريقة محرجة حقيقة مفادها أن مصطلح «علم الدلالة البنيوي» قد يكون موحياً الآن بالتحاليل الدلالية

المهتمة بالبنية المنطقية للجمل أكثر من تلك التحاليل المهتمة بالبنية العلائقية في المعجم).

ونتج عن هذا التحول في الاهتمام أن أصبحت مقاربة علم الدلالة المعجمي مقاربة منطقية، تقليداً يندر وجوده بصفة جلية. وعندما لم تبق سوى شكلنة للمقاربات الوصفية التي تطورت في علم الدلالة البنيوي (كما هو الحال لدى داوتي (1979) Dowty في إعادة صياغة تعريفات المكونات في مصطلحات نحو مونتاغ)، فإن مساهمتها الوصفية في علم الدلالة المعجمي تكمن أساساً في تحليل المفردات المعجمية المتطابقة مع العوامل المنطقية (كالعوامل المكممة والرابطة)، وفي تحليل المعنى التأليفي لأقسام الكلام [أصناف الكلمات] (المتطابقة مثلاً مع أنماط «types» نحو مونتاغ). ولكن علم الدلالة المنطقي لم يمثّل من ناحية أخرى تقليداً «مكتمل الريش» في البحث الدلالي المعجمي (يُنظر - لنظرة شاملة عن إسهامات علم الدلالة المنطقي في علم الدلالة المعجمي - الفصل الوثيق الصلة بالموضوع في: Chierchia and

macConnell - Ginet 1990. وقارن ذلك أيضاً بفصل: «علم الدلالة الصوري»: Formal Semantics).

5. علم الدلالة العرفاني [المعرفي cognitive]:

إن التطور تجاه أشكال من علم الدلالة موجهة توجيهاً نفسياً لا منطقياً، يمكن أن يعزى بصفة أفضل إلى النقاش بين منهج المكونات الذي دافع عنه كاتز والمنهج الأكسيومي في التمثيل الدلالي (انظر فصل: مسلّمة المعنى (الأكسيوم الدلالي) = (Axiom): Meaning Postulate semantic). وبما أن استعمال المسلّمات الدلالية قد أُصِّل في المنطق الصوري فإن مرحلة النقاش الأولى قد بدت مجرد مظهر من مظاهر التوتر بين مقاربة كاتز اللسانية وأشكال التحليل المنطقية السائدة. ومع ذلك فقد أصبح من الواضح تدريجياً أن المقاربة التحليلية (décompositional) تحتاج إلى بدهيات دلالية في كل الأحوال من بين عناصر أخرى لتمثيل قواعد الفَضْل (redundancy rules). وقد وضّح دواتي (1979) Dowty – على

العكس من ذلك - أنه من الممكن دمج التعريفات التحليلية والمكونية في النظرية المونتاغية الدلالية. فأسّس بذلك الانسجام الشكلي بين المقاربات التحليلية والأكسيومية، لكن سؤالاً يطرح بعرض هذا الانسجام: «ما هي درجة التحليل الضرورية؟» فلم يعد هذا سؤالاً شكلياً بل سؤالاً ذا صيغة واقعية مادية substentive. وقد أمكن حله باستعمال بيّنة اختبارية (experimental evidence) مرتبطة بالواقع النفسي للتمثيلات التحليلية. ومع ذلك، فقد لفت كاتز (1980) النظر - في النقاش الذي أطلقته الدراسات الاختبارية، كدراسة فودور وآخرين (1975) ..Fodor et al - إلى أن الاختبارات تضمّنت بصفة جلية مسارات الأداء، في حين أن مقاربته هو تسعى إلى أن تكون نظرية كفاءة لعلم الدلالة. وظهر في هذه المسألة صراع خاص داخل المقاربة الكاتزية. فقد كان استعمال البيانات data اللسانية - النفسية حول مسارات الأداء (performative)، من جهة، هو النتيجة الجوهرية في الموقف العقلي لعلم الدلالة الكاتزي. وإذا كان للوصف الدلالي واقع نفسي حقاً،

فإنه كان من المقبول، منهجياً، استعمال كل أضرب البيّنات النفسية. ومن جهة أخرى، كان هناك مظهران آخران من مظاهر موقف كاتز يقابلان هذا الاستقطاب المنهجي في الموقف العقلي لعلم الدلالة الكاتزي. فإن كلا من المفهوم التوليدي للكفاءة (competence)، والمحاولة البنيوية لتطوير منهج مستقل لعلم الدلالة اللساني يعارضان - في النظرة - استعمال البيانات النفسية الأدائية. ومن المستحسن أن نوضح - ونحن نتذكّر اتهامات وايسغربر للمقاربات النفسية في علم الدلالة - أن نزعة كاتز العقلية ليست موقفاً منهجياً صريحاً، فهي تقدم موضوع البحث وكأنه شيء واقعي نفسياً. لكنها لا تؤثر، كما يبدو، في المنهج المستعمل في دراسة ذاك الموضوع. وقد ظل هذا المنهج منهجاً بنيوياً من حيث أنه مؤسَّس على علاقات ثابتة بين العناصر اللغوية أكثر مما هو قائم على مسارات نفسية واقعية.

لكن - من جهة أخرى - كان الاختيار «الأدائي» النفسي غير المستقل الذي ظهر تدريجياً في علم الدلالة المعجمي اللساني، قابلاً لأن يربط

بالعمل السائد حول تصنيف اللغة الطبيعية وتمثيل المعنى، كما تحقق في اللسانيات النفسية والذكاء الاصطناعي. وفي هذا النوع من البحوث، تم تجاوز السؤال الأصلي المتصل بالتناوب (alternative) بين مقاربة المكونات والمقاربة الأكسيومية، إلى سؤال أعم هو: «كيف يبدو منوال الكفاية (adequate model) الخاص باستعمال الإنسان للغة ومعرفته بها؟» وفي حدود ما يراه الباحثون في اللسانيات النفسية والذكاء الاصطناعي عموماً من أنه لا يمكن دراسة قدرات الإنسان اللغوية بمعزل عن قدراته العرفانية الأخرى، أهمل مثال البنيوية المنهجي الاستقلالي النزعة، لا باستعمال البيانات اللسانية النفسية تحت التصرف و[البيانات] الأدائية فحسب، بل - بصفة أعم - بدمج دراسة علم دلالة اللغة الطبيعية في العلم العرفاني عموماً. وقد أدت إعادة التوجه توجهاً نفسياً في علم الدلالة اللساني إلى [ظهور] مدرسة اللسانيات العرفانية التي يعد لاكوف (1987) Lakoff ولانغاكر (1987) Langacker أبرز روّادها. وبقدر ما يكون علم الدلالة المعجمي معنياً بهذا، تتخذ المقاربة

العرفانية شكلين أساسيين: فقد اعتبرت النظرية النمطية الأصلية (prototypical) للبنية التصنيفية، التي طوّرت في اللسانيات النفسية من قبل روش Rosch، أساساً لمناويل البنية الداخلية لأقسام (categories) اللغة الطبيعية (انظر: الزمن = Tense). ومن جهة ثانية، أدّى تجديد الاهتمام بالاستعارة - طوال مراحل عمل لاكوف وجونسن (1980) Lakoff and Johnson - إلى موجة جديدة من البحث في دور المناويل العرفانية الإبستيمي، وخلفيتها التجريبية (انظر فصل: «الاستعارة» = Metaphor).

6. نظرة شاملة واستشراف:

يختزل الرسم (1) أهم مراحل التطور التاريخي في علم الدلالة المعجمي ويمثل كل صندوق إحدى المقاربات الخمس. وقد مُثِّلَتْ المقاربة الدلالية المنطقية بخطوط متقطعة لأنها كما أسلفنا - ليست تقليد بحث رئيس بقدر ما هي عليه، دراسة للمعنى

المعجمي. أما الصندوقان الممثلان للمقاربة البنيوية النزعة والمقاربة التحويلية النزعة فهما متداخلان بسبب المظاهر البنيوية النزعة في المقاربة التي دشّنها كاتز. ويشترك علم الدلالة البنيوي وعلم الدلالة التحويلي البنيوي المحدث - كما بيّنا في التعليق - في الاهتمام الاستقلالي النزعة بالعلاقات الجدولية السياقية التي تكون بنية المعجم الدلالية: فالمقاربة التحويلية النزعة في علم الدلالة المعجمي تكنّى «بنيوية محدثة» لأنها تضيف إليهما مفهوماً ذاتياً عقلياً واهتماماً بالشكلنة الصارمة أكبر بكثير مما كانا عليه عادة. وتشير الخطوط الرابطة بين الصناديق (والتعاليق الموجودة على هذه الخطوط) إلى الصلات بين المقاربات. ويشير السهم المزدوج الذي يربط بين علم الدلالة التاريخي ما قبل البنيوي وعلم الدلالة التاريخي إلى أن الثاني هو ردة فعل على الأول. ويجمل التعليق نقد واسغربر لهذا التقليد الأول [علم الدلالة التاريخي]. ويشير السهمان المفردان اللذان يتجهان من صندوق علم الدلالة التحويلي البنيوي المحدث [إلى صندوق علم الدلالة المنطقي] إلي تطور

منطقي لا إلي العكس [إلى تطور تحويلي بنيوي محدث]. فالتغير في اتجاه علم الدلالة المنطقي وعلم الدلالة العرفاني هو نتيجة لمحاولة كليهما الأخذ - بصفة جدية - بالخصيصة المشكلنة والعقلية لعلم الدلالة التحويلي النزعة.

وفي التطور الذي اختزلناه في الرسم (1) سمتان عامتان لهما أهمية بالغة. السمة الأولى هي أن المقاربة التي دشّنها كاتز تبدو قد اكتسب وظيفة ارتكازية في تاريخ علم الدلالة المعجمي. لكن التجديدين اللذين أضيفا إلى منهجية بنيوية النزعة أكثر تقليدية، أديا - في الآن نفسه - إلى أشكال من علم الدلالة قد ذهبت إلى موقف أعمق من الموقف البنيوي الأصلي. أما السمة الثانية فتتمثل في أن المقياس التطوري الرئيس في تاريخ علم الدلالة المعجمي يتضمن استقلالية العلم المنهجية. وفي حين تحاول التقاليد البنيوية والبنيوية المحدثة بالمثل إنجاز مقاربة محايثة للغة، يتضمن التوجه النفسي في المدرسة العرفانية والمدرسة ما قبل البنيوية تغيراً في اتجاه قيام تضافر الاختصاصات (interdisciplinarity).

الرسم (1): تاريخ علم الدلالة المعجمي